

## القسم الثالث : الثورة : معناها وأنماطها

يتخذ التغيير الاجتماعي أشكالاً متعددة. والثورة هي أحد أشكال التغيير الاجتماعي، بل هي الشكل الأكثر شيوعاً في التغيير الاجتماعي، وخاصة في العالم الثالث. ونباش في هذا الجزء معنى الثورة وطبيعتها وأنماطها المختلفة وذلك بغية التصدي للجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما معنى الثورة؟ وما سمات التغيير الثوري؟
- والي أي حد وكيف تختلف الثورات بعضها عن بعض؟
- وما المتغيرات التي تمكننا من تفسير وتصنيف هذه الثورات وتميزها عن بعضها؟
- وما هي الامكانات التي ينطوي عليها كل نمط من أنماط الثورة في دفع وتوجيه جهود الإصلاح التربوي المنشود؟
- أي جهود الإصلاح التربوي - وفي أي نمط من أنماط الثورة - أكثر نجاحاً في مجاوزة ما سمي بأزمة التربية في العالم الثالث؟ وأكثر مساهمة في تحقيق الأهداف الاجتماعية للثورة؟ وأكثر انفصلاً وبعداً عن سياسة الماضي؟

## ١ - تعريف الثورة :

الثورة ظاهرة سياسية اجتماعية وتختلف من مجتمع الي آخر وفق الشروط البنوية التي احدثت الثورة في كل مجتمع. ومع ذلك فان الدراسات الامبريقية المتعددة للثورات التي حدثت في المجتمعات المعاصرة قد مكنت الكثير من العلماء من بناء تعميمات وتفسيرات مختلفة لهذه الظاهرة. فثمة تعريفات متعددة ومتباينة للثورة لكن يمكن تقسيمها - بغرض التبسيط والايضاح الي فئتين من التعريفات، مع وجود بعض التعريفات تتأرجح علي الحد الفاصل بينها (أ. س كوهان، ١٩٧٩، ص ١٨).

أما الفئة الأولى من تعريفات الثورة فتضم حركات التغيير التي يحسن أن نطلق عليها "الثورة الكبرى" والمنظرون الذين تقع تعريفاتهم في هذه الفئة كثيرون يشملون كرين برينتون وهانتجتون الي جانب منظري الماركسية مثل لينين وماو. أما الثورات المعنية فتشمل الثورتين الفرنسية والأمريكية في القرن الثامن عشر، وأهم ثورتين في القرن العشرين الروسية والصينية. ويمكن أن نضيف اليهما - جدلا ثورات أخري مثل ثورة الجزائر وكوبا. وهي جميعا ثورات قامت بها الجماهير من أسفل. وعلي ذلك فان احداثا مثل استيلاء الجيش البرازيلي علي السلطة في ١٩٦٤ لا يمكن ادراجها هنا. وهكذا كافة الانقلابات العسكرية أو احداث التمرد أو حتي الانتفاضات الشعبية. وقليل من المفكرين الذين تقع تعريفاتهم في هذه الفئة هم الذين يعتبرون أحداث الجيش المصري عام ١٩٥٢ ثورة، بسبب ما أحدثته من تغيير في بنية المجتمع المصري. ويتفق علي تحديد هذه الفئة من التعريفات مع كوهان (المرجع السابق، ص ١٨) كل من



الجماهير الشعبية في الحدث نفسه لصنع التغيير بمشاركة شعبية أو تعبئة جماهيرية واسعة *Mass mobilization participation*. الثورة التي يشير إليها هذا النوع من التعريفات باختصار هي ثورة يتم فيها التغيير الاجتماعي من أسفل، أي من خلال الجماهير وبها ومن أجلها.

أما الفئة الثانية من التعريفات فتضم تعريفات واسعة فضفاضة لمعنى الثورة، بحيث تشمل كثيرا من أشكال التغيير السياسي أو الاجتماعي التي يستبدها النوع السابق من تعريفه لمعنى الثورة. فيقول جونسون مثلا "الثورة هي قبول العنف من أجل أحداث التغيير (C. Johnson, 1966: 17) ويقول ديفيز "الثورة تغير غير قانوني في الدستور الدائم... (بمعنى آخر) الثورة تغيير في أسس الشرعية" (J. C. Davis, 1966: 2). والتغيرات التي يعنيهها كل من جونسون وديفيز هنا، هي تغيرات في الحكومة (أشخاص وقيادات) أو تغيرات في النظام السياسي (شكل الحكومة، إعادة توزيع بنية القوي السياسية) أو تغيرات اجتماعية في المجتمع (بنية العلاقات الاجتماعية، شكل الملكية، الطبقات المسيطرة، القيم السائدة).

الثورة إذن وفقا لهذا النوع من التعريفات هي تلك التغيرات الاجتماعية التي تتم بطرق غير قانونية ومن خلال العنف. ولا يوافق الماركسيون علي مثل هذا النوع من التعريفات التي يقدمها هؤلاء الموظفين أمثال شالمرز جونسون وديفيز. وعلي ذلك فالتغيرات الاجتماعية والسياسية التي تحدث بدون عنف أو بشكل قانوني لا تعتبر ثورة. فالثورة وفق هذه التعريفات ليست عملا

سياسيا عاديا أو معتادا. أنها تغير يتم بالعنف والخروج عن القانون.

لكن الواقع التاريخي لثورات الشعوب تعرض لهاتين الفئتين من التعريفات بالنقد والتجريح. ذلك أننا نجد أن الفئة الأولى من التعريفات قد ضيقت مفهوم الثورة بحيث تشمل فقط الثورات التاريخية الكبرى في تاريخ البشرية، ومن ثم نجده قد استبعد بالفعل وقائع امبريقية واضحة لتغيرات اجتماعية سياسية... عميقة... سريعة... بطرق غير قانونية لكنها تمت بأسلوب فوقي - أعني عن طريق سيطرة الصفوة - العسكرية أو السياسية - علي جهاز الدولة، لاستخدامه بغير الطرق الدستورية المألوفة - في أحداث التغيرات المطلوبة، وذلك مثلما حدث في مصر ١٩٥٢ وبيرو ١٩٦٨ وفي كثير من بلدان العالم الثالث. واستبعاد مثل هذه الوقائع من تعريف الثورة مسألة تتم عن معني ضيق للثورة غير مستوعب لظروف العالم الثالث ودينامية الأبعاد السياسية والاجتماعية المحلية والعالمية في القرن العشرين التي جعلت للدولة وللصفوات العسكرية في تلك البندان دورا تاريخيا يمكن أن يلعبه في أحداث التغيير<sup>(١٥)</sup>. لكن يظل شرط التغيرات الأساسية في البني الاجتماعية شرطا أساسيا في أي تغيير ثوري.

أما الفئة الثانية من تعريفات الثورة، فاننا رأينا أنها تعريفات واسعة لدرجة أنها تتسع لتشمل كل حركات التغيير مثل الانقلابات السياسية، أو الهبات الجماهيرية. والانقلابات هي مجرد تغيير في الأشخاص المسيطرين علي الحكم نون أن يعقب ذلك أي تغيير في شكل الحكم أو طبيعته أو أهدافه ويقطع فهذا الاتساع في

معنى الثورة أمر يسلب التعريف أهميته المنطقية لكن يبقى أن شرط الخروج علي الشرعية القائمة واستعمال العنف أو التهديد باستعماله من الشروط الأساسية في أي عمل ثوري، ونلاحظ أن تعريفات النوع الأول توافق ضمنا علي ذلك. فالعمل الثوري بالضرورة يخالف الشرعية القائمة.

وعلي ذلك يمكن تقديم تعريف للثورة يشمل النوعين السابقين من التعريفات، فنقول: أن الثورة هي تلك العملية التي يتم بها ومن خلالها أحداث تغيرات جذرية في مجتمع معين خلال فترة زمنية وجيزة نسبيا (9: 1974: J. Galtung)<sup>(١٦)</sup>. ومالم تحدث تغيرات اجتماعية جذرية بشكل يعيد صياغة النظام الاجتماعي من القمة الي القاعدة فان الحدث لايعتبر ثورة (E. Harrmassi 1976: 213).

ويمكن أن نستفيد من كوهان (مرجع سابق، ص ٣٩) في أن نحدد التغيرات الاجتماعية التي تحدثها الثورة فيما يلي:

- ١ - التغير في الأساس الطبقي للنخبة أو الصفوة الحاكمة.
- ٢ - القضاء علي المؤسسات الاجتماعية السابقة واستبدال أخرى جديدة بها أو علي الأقل تغيير وظائف هذه المؤسسات القديمة بوظائف أخرى جديدة.
- ٣ - تغيير بنية العلاقات الاجتماعية والثقافية من خلال إعادة توزيع الثروة وتغيير شكل الملكية.
- ٤ - تغيير بنية العلاقات الخارجية، وتغيير وضع الدولة في تقسيم العمل العالمي.

ويميز ولتر لاكود (W. Laqueur 1968: 202-3) أربع مراحل تاريخية لكل ثورة اجتماعية: المرحلة الأولى وهي مرحلة الاعداد والانطلاق وهي المرحلة التي تتميز بالعنف وتجاوز الشكل القانوني القائم للاستيلاء علي السلطة. أما المرحلة الثانية فهي المرحلة الأولى للثورة وهي المرحلة التي تعقب الاستيلاء علي السلطة. وفي هذه المرحلة تتحقق الشروط الضرورية لتحقيق الثورة والتغيرات الاجتماعية مثل القضاء علي العلاقات الاجتماعية القديمة والتخلص من كل سيطرة اجتماعية، وكذلك القضاء علي التبعية السياسية والاقتصادية وتحقيق الاستقلال السياسي والتخلص من كل أشكال السيطرة الخارجية وهذه هي الشروط الضرورية لحدوث أي تغيرات ثورية بعد ذلك.

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة النزوة وفيها تحدث معظم التغيرات الاجتماعية المنشودة، وهي تعبر عن نضج ونمو عميق في اتجاهات ونظريات الثورة. وأما المرحلة الرابعة والأخيرة فهي مرحلة استقرار الثورة وفيها تكون الثورة قد حددت اتجاهها ودخلت في عملية اجتماعية جديدة هي أقرب الي عملية "اتزان اجتماعي جديد" *New equilibrium* وقد تستمر هذه المرحلة مدة طويلة. وقد تحدث تغيرات جديدة بعد ذلك. وليس شرطاً أن كل ثورة تمر بهذه المراحل الأربعة فقد تحدث انتكاسات للثورة في أي مرحلة من سلسلة المراحل. أو يتغير اتجاه الثورة.

وعلي أي الأحوال اذا كان جوهر الثورة - أي ثورة - هو تلك التغيرات البنوية الحادثة في المجتمع التي بدونها لا تعتبر الثورة ثورة، فان الثورات تتمايز بعضها عن بعض وتختلف بعدي ما

تحققه من تغيرات في الأبعاد المذكورة. وبالطبع يأتي الاصلاح التربوي الراديكالي في النظم التعليمية القائمة مناظرا دائما، أو متطابقا Corresponding مع شكل ومدى التغيرات الحادثة في كل ثورة. وثمة سؤالان مازال قائما: ما المتغيرات أو الشروط الموضوعية التي تؤثر في مدى التغيرات الحادثة في كل ثورة ومن ثم تحدد طبيعتها ونمطها المتميز؟

## ٢ - متغيرات الثورة (١٧)

ثمة متغيرات كثيرة تعمل في الثورة وتحددها، لكن هناك دائما متغيرين أساسيين يلعبان الدور الحاسم في تحديد نمط كل ثورة. والمتغير الأول هو نوع الايديولوجية الثورية، فالايديولوجية هي التي تحدد توجهات التغير الثوري الاجتماعي والسياسي. أما المتغير الثاني فهو "من الذي يقوم بالثورة": الجماهير المنتفضة مع قيادتها، أم الصفوة العسكرية أو السياسية من خلال السيطرة علي جهاز الدولة في غياب الجماهير الشعبية ؟ لكن كيف يعمل هذان المتغيران في تحديد نمط التغيرات الثورية ؟ وكيف يمكن أن نستخدمهما في تحديد الأنماط المثالية Ideal Types للثورة ؟

### المتغير الأول: الايديولوجية الثورية وتغيير الواقع الاجتماعي :

الايديولوجية بصفة عامة هي نسق من المبادئ المعيارية المقومة لغايات العقل الانساني التي يمكن أن تتحقق بها هذه الغايات، والمقومة كذلك بطبيعة الواقع الاجتماعي الفيزيائي (Allardt)

المقومة لغايات العقل الانساني التي يمكن أن تتحقق بها هذه الغايات، والمقومة كذلك لطبيعة الواقع الاجتماعي الفيزيائي (Allardt 1971: 24). ووصف الايديولوجية بالثورية انما يعني اعادة تعريف للغايات والوسائل وطبيعة الواقع. ومن ثم فالايديولوجية الثورية كما نفهم من تعريفها هي بناء لواقع اجتماعي جديد (Ibid) ومثل هذا التعريف يشير مسألة تأثير الأفكار في الواقع وهي من المشكلات الرئيسية في علم الاجتماع. دون أن نخوض في هذه المسألة فحسبنا أن نقول مع آلردت Allardt وونش Winch أن ثمة علاقة بين الفكر والواقع والعلامة بينهما منطقية - نظرية - Conceptual فالعلاقة بين الفكر والواقع ليست علاقة سببية - فهي لا تتعلق بظاهرتين واقعتين مستقلين عن بعضهما الآخر. فنحن نلاحظ العالم المحيط بنا من خلال أفكارنا عنه، وندرس أفكارنا في سياق العالم المحيط بنا (Allardt 1971: 25 & Winch 1958: 14).

وإذا ما اتفقنا حول القضية السابقة، فاننا يمكن أن نرتب علي ذلك أنه يوجد ثمة علاقة بين الايديولوجية والتغير الاجتماعي. فكل تغير اجتماعي تم نتيجة تغير ايديولوجي (Hobsbawm 197: 86) أو بالأحرى كما يقول فينيس راي أن كل تغير اجتماعي تم نتيجة دعم ايديولوجية معينة (D. Ray 1970: 307). وقد استخلص كل من هوبسبوم وراي هذه العلاقة من دراسة الحالات التاريخية التي ارتبطت فيها الايديولوجية بالتغير الاجتماعي. بينما قد توصل اليها آلردت من خلال تطيله النظري لتعريف الايديولوجية الثورية نفسها. ولا تأتي الايديولوجية الا من خلال دينامية الواقع نفسه فالايديولوجية في بلد ما قد تكونت وشكلت من خلال التاريخ المادي للمجتمع، لكن

## الاصلاح التربوي في العالم الثالث

حينما تتصدع مؤسسات المجتمع القديم فان الايديولوجية نفسها تصبح قوة مؤثرة في تشكيل مؤسسات جديدة... وهكذا (MacEwan 1975: 67).

وإذا كانت هذه هي العلاقة بين الايديولوجية الثورية والواقع، فكيف تتحقق هذه العلاقة؟ أعني كيف تؤثر الايديولوجية في تغيير بنية علاقات الواقع؟

ان الواقع الاجتماعي Social Reality يتكون من جانبيين الثقافة Culture والبنية الاجتماعية. والايديولوجية تؤثر في الواقع بشكل مختلف في كل جانب عنه في الآخر. فتأثير الايديولوجية في الثقافة كجانب من الواقع - غير تأثيرها في البنية - كجانب مختلف من الواقع الاجتماعي.

### أولاً: الايديولوجية والثقافة :

الثقافة هي نوع من البنية المعرفية التقويمية للواقع. أي هي مبادئ فهم وتقويم طبيعة الواقع الاجتماعي والفيزيائي (Bourdieu 1977:114) ويقول ولاس Wallace أن لكل فرد بنية معرفية تقديرية تشكل له رؤيته الكلية للحياة ويطلق عليها Mazway بمعنى طريقة تفكير الفرد ونظراته الي الأمور ، وإن ثقافة مجموعة اجتماعية معينة أو ثقافة مجتمع ما هي الا تلك الأجزاء المشتركة بينهم من طرق التفكير الفردية Mazway بين أعضاء هذه الجماعة الاجتماعية أو المجتمع (Wallace 1961: 6).

وتعريف الثقافة علي هذا النحو - أي باعتبارها البنية المعرفية البانية للواقع، هو نفس تعريف الايديولوجية. ولذلك فالايديولوجية والثقافة متداخلان. لكن تظل الايديولوجية بحكم تعريفها كاعادة بناء فهم الواقع، هي بانية الثقافة (أي بانية المعرفة من الواقع الاجتماعي). والعلاقة علي هذا النحو - بين الايديولوجية والثقافة - مسألة نظرية منطقية Conceptual لا تحتاج الي اثبات امبريقي - كما بينا ذلك سابقا. لكن في نفس الوقت، اذا أردنا دراسة أو معرفة مدي وعمق تأثير الايديولوجيا في اعادة بناء ثقافة واقع معين، نكون بذلك قد انتقلنا من مستوي الاستنتاج النظري المنطقي للعلاقة الي مستوي آخر يتطلب استنتاجا امبريقيا. ذلك أن مسألة مدي وعمق تأثير الايديولوجيا في الثقافة مسألة لا تعتمد فقط علي مدي قوة وترابط الايديولوجية أو مدي راديكاليته في التغيير، بل تعتمد أيضا علي مدي قوة المشايخين لها، ومدي الوجود الشعبي لهذه الايديولوجية - وهذا شيء يختلف بالطبع من واقع اجتماعي الي آخر.

ويميز هوبسبوم بين مستويين تعمل الايديولوجيا عند كل منهما بوظيفة مختلفة. ففي المستوي الأول نجد أن الايديولوجيا عبارة عن نسق من مفاهيم ومدركات محددة عن الواقع الاجتماعي والفيزيقي. وعادة ما يطلق أسم براق علي هذا النسق مثل الليبرالية أو الوطنية أو الشيوعية... الخ. ويمكن أن ينبثق عن هذا النسق برامج عمل سياسية واجتماعية. أما في المستوي الثاني فإن الايديولوجيا تعمل كأنسقة أفعال. والايديولوجيا كنسق من المفاهيم والمعتقدات والمدركات حول المجتمع، لا توجد محددة أو مدركة بوعي في المستوي الثاني. لكنها مع ذلك تشكل أساس أفعال وسلوكيات مجموعة معينة مع الناس.

## الاصلاح التربوي في العالم الثالث

فالايديولوجية توجد في هذا المستوى كأنسقة أفعال (Hobsbawm 86: 1977) والمستوي الأول بالنسبة لهويسبوم هو مستوي النخبة أو الصفوة Elite في مجتمع ما. ويطلق هويسبوم علي الايديولوجية في هذا المستوي النظريات السياسية والاجتماعية أما في المستوي الثاني فهو مستوي الجمهور العريض في المجتمع ويطلق هويسبوم علي الايديولوجية في هذا المستوي الجماهيري أنسقة الفعل. ويرتب هويسبوم علي ذلك أن الايديولوجيات في المستوي الأول أي النظريات الاجتماعية والسياسية لدي الصفوة أو أي جماعة سياسية أو اجتماعية في مجتمع ما لا تصبح فعالة الا عندما تنقل الي الجماهير في شكل نماذج أو أنسقة من الفعل الاجتماعي. وليس معني ذلك أن كل مستوي يختص بوظيفة معينة للايديولوجيا. فأنسقة الفعل الاجتماعي في المستوي الثاني هي التي تجعل الايديولوجيا في المستوي الأول فعالة. كما أن النظريات الاجتماعية والسياسية أي الايديولوجيا في المستوي الأول هي التي تدعم وتشكل أنسقة الفعل، أي الايديولوجيا في المستوي الثاني.

والنتيجة التي نستخلصها هنا، أن فعالية ايديولوجيا ما تصبح رهنا بمدى مشاركة الجماهير في تغيير الواقع الاجتماعي فمثل هذه المشاركة هي التي تنقل أو تحيل الايديولوجيا، من كونها مجرد أنسقة نظرية الي واقع فعلي في ضرورة أنسقة فعل اجتماعي بين الجماهير أو بعبارة أخرى فان المشاركة الشعبية هي التي تنقل الايديولوجيا من الصفوة الي واقع الجماهير المعاش في صورة أفعال وسلوكيات يومية. وهنا فقط، تتحقق النظريات أو البرامج الاجتماعية والسياسية المنبثقة عن النظريات في المستوي الأول. وهذه النتيجة هي ما تدعم

قولنا أن مدي عمق تأثير الايديولوجيا في اعادة بناء الثقافة انما يتوقف علي قوة المشايعين لها أي قوة المشاركة الشعبية في عملية التغيير.

### ثانيا: الايديولوجيا والبنية الاجتماعية.

البنية الاجتماعية، كما يقول ألدوت هي "تلك النماذج الثابتة من تفاعل أعضاء المجتمع" (Allardt 1971: 33). أو هي العلاقات الاجتماعية القائمة بين متغيرات النسق الاجتماعي. ونسأل: ما العلاقة بين الايديولوجيا والبنية الاجتماعية؟ وهل التغيير الثقافي يمكن أن يؤدي بالضرورة الي تغير بنيوي في المجتمع؟

الثقافة مستقلة نسبيا عن البنية الاجتماعية، فهي ذات بنية قسرية ولا تستنبط من الواقع، وان كانت تحافظ علي بقاء البنية الاجتماعية وتعمل علي استمرارها واعادة انتاجها (Bourdieu & Passiron 1977: 4) فالعلاقة بين الثقافة والواقع ليست علاقة منطقية نظرية بل علاقة امبريقية. فقد تتغير الثقافة بفعل الايديولوجية الثورية - لكن ذلك لا ينتج عنه بالضرورة تغير في علاقات النفوذ السائدة في المجتمع. وفي نفس الوقت فانه يمكن - نظريا - أن تتغير علاقات النفوذ في المجتمع لكن ذلك لا يفضي بالضرورة الي تغير في البنية الثقافية أو علي الأقل تغيرات عميقة ذات مغزي في ثقافة المجتمع.

ومن هنا يمكن القول بأن الايديولوجية الثورية - وان كان يلزم عنها منطقيا تغير في بنية الثقافة، تغيرا يتوقف عمقه ومداه علي

## الاصلاح التربوي في العالم الثالث

عوامل اميريقية أخرى، فانها، أي الايديولوجية الثورية غير كافية بذاتها في احدث أي تغييرات بنيوية في المجتمع فالثقافة يمكن أن تتغير بتغير النماذج المعرفية التقريبية للناس Mazway في ضوء ما بيننا سابقا، لكن التغييرات البنيوية تتطلب مسبقا الي حد ما استعمال القوة وممارسة بعض الأنشطة التي تقوم عليها. فالبنية الاجتماعية القيمة - القائمة في المجتمع - يمكن أن تضعف أو تنهار حين يفقد أصحاب السلطة نفوذهم لكنها لا تتغير مالم تقم مؤسسات جديدة، والمؤسسات لا تقوم الا بالعمل ولا يتم بناؤها الا بوجود شكل من أشكال القيادة والتنظيم. وتظل الايديولوجية الثورية مع ذلك دافعا وموجها للتغيير البنوي وشرطا أساسيا لنجاحه وضمان تحقيقه.

وإذا تصورنا نظريا أن تغييرا ما قد حدث في البنية الاجتماعية فهل ينتج عن ذلك تغير ثقافي؟ الجواب بالنفي. فليس بالضرورة أن يظهر تغير ثقافي نتيجة التغير البنوي - وذلك واضح في ضوء ما تقدم. فليست هناك علاقة منطقية بين التغير البنوي والثقافة. والجواب علي هذا التحويثير السؤال التالي: انن، متي يحدث ارتباط بين التغيرين البنوي والثقافي؟ وفي أي شكل من أشكال التغير البنوي يتم تغير ثقافي؟

لثارة المشكلة علي هذا النحو يوضح تماما أن الايديولوجيا وحدها ليست عاملا كافيا لتفسير التغييرات الثورية أو في تحديد نطلها. ويتبقي كي نفهم التغيير الثوري أن ندرس متغيرا آخر يتعلق بزيادة الثورة أو الطريقة التي تتم بها عملية تقويض نمط العلاقات والمؤسسات القديمة واقامة علاقات ومؤسسات أخرى جديدة.

## المتغير الثاني: التعبئة (والمشاركة) الجماهيرية:

وعبر (الاردت) بين نمطين من الفعل الثوري والنمط الجماهيري الذي يقوم علي تعبئة الجماهير ومشاركتهم السياسية في تغيير العلاقات القنينة واقامة علاقات أخرى جديدة من خلال نضال جماهيري. والنمط الثاني هو النمط الفوقي الذي تقوم فيه النخبة من خلال سيطرتها علي جهاز الدولة بعمليات التغيير البنوي في المجتمع، (Allardt 1971: 34). فماذا يعني حضور الجماهير أو غيابها؟

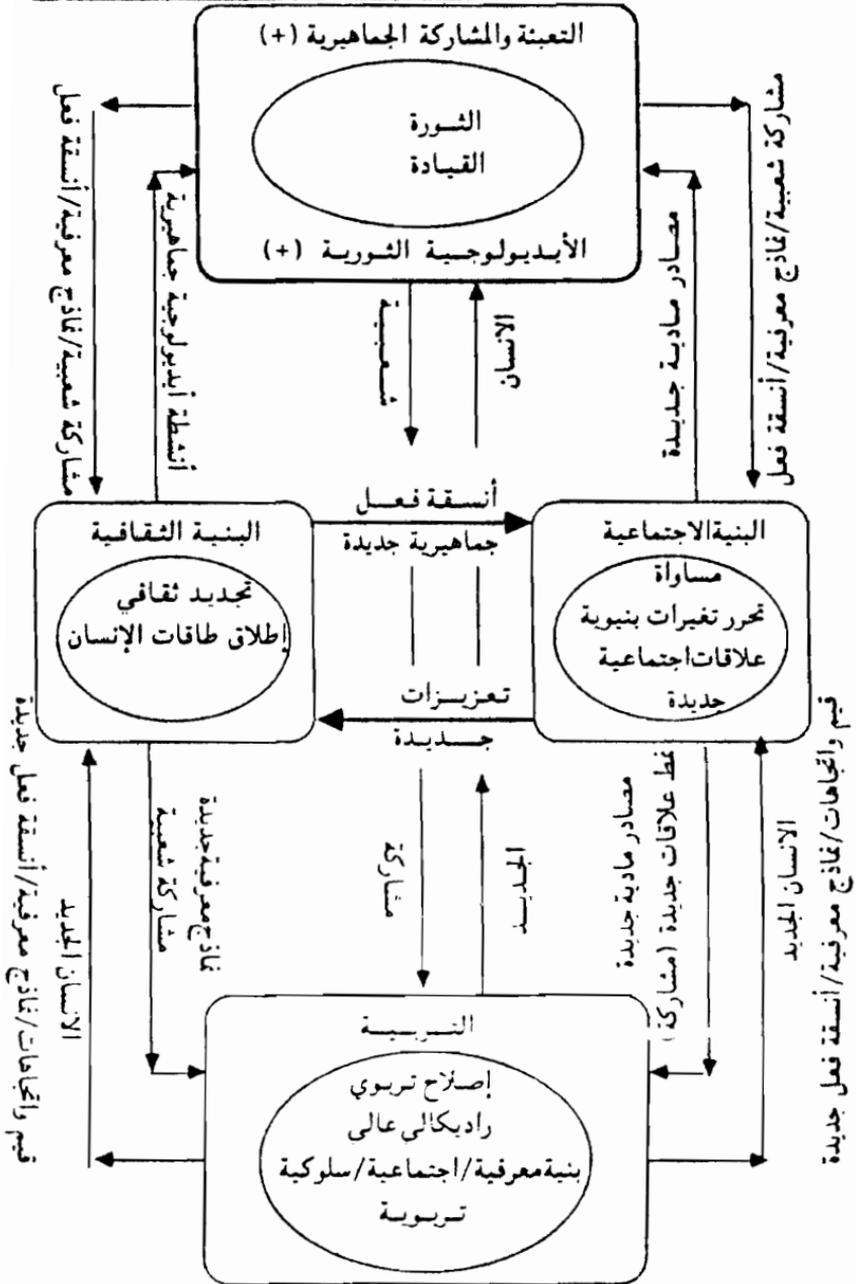
حضور الجماهير يعني تغير في بنية الثقافة. فالثقافة لا تتغير الا حينما تكون هناك مشاركة جماهيرية وأنشطة ايدولوجية ثورية بين الجماهير فذلك يتيح للايدولوجية أن تتحول من كونها نظريات اجتماعية داخل أدمغة قلة من المفكرين أو السياسيين الي أنسقة للفعل الاجتماعي تتحرك بها الجماهير ومن خلالها - كما يقول هوبسبوم - حينئذ لا تتم فقط تغيرات بنوية بل أيضا تجديدات ثقافية

Cultural Construction (Allardt 1971: 35, Wallace 1961: 7, Fagen 1969, Hobsbawm 1977:

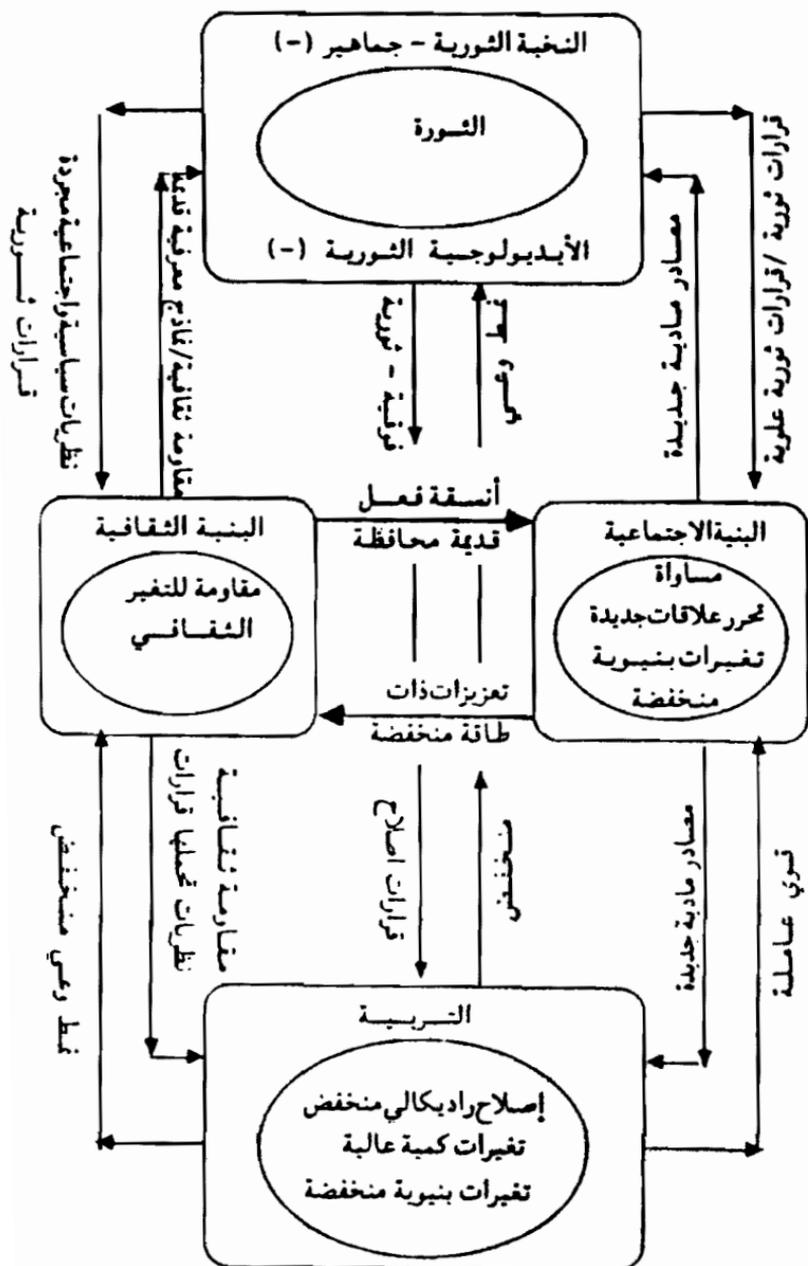
188). ان أنسقة الفعل بين الجماهير، التي يتكلم عنها هوبسبوم هي نفسها النماذج المعرفية الجديدة التي تتكون لدي الناس التي تكلم عنها ولاس. وعلي أي الأحوال ان حضور ومشاركة الجماهير وتعبئتها هو الذي يحقق العلاقة بين الايدولوجية الثورية والثقافة والتغيير البنوي كما يتضح من الشكل رقم (٣).

ويوضح فانون أهمية التعبئة الجماهيرية في تغير البنية

الثقافية، وان كان يعرض المسألة بطريقة مختلفة بعض الشيء -



شكل رقم (٣) دينامية المتغيرات الوسيطة (الأيديولوجية الثورية والمشاركة الشعبية) في شكل الاصلاح التربوي الراديكالي في نمط الثورة الشعبية



شكل رقم (٤) دينامية التغيرات الوسيطة (ايدولوجية منخفضة في درجة إنساقها وتوجهها الراديكالي + مشاركة جماهيرية غائبة) في تشكيل الإصلاح التربوي الراديكالي في نمط الثورة الفوقية.

في مكان مأمون بمعزل من تأثير النضال اليومي للجماهير، فمن خلال النضال اليومي من أجل التغيير، ومن خلال تطور هذا النضال وما يحققه من انجازات ثورية، تتخذ الثقافة ضروبا وصورا جديدة. ويوضح فانون ذلك جليا وبشكل رائع في قوله:

ان النضال من أجل الحرية لا يعطي للثقافة الوطنية مجرد أشكالها وقيمها السابقة، فهذا النضال الذي اتجه منذ البداية الي ارساء علاقات اجتماعية وسياسية جديدة بين الناس لا يمكن أن يترك الثقافة - سواء في الشكل أو المحتوي - بمنأى عن هذا التغيير. فبعد انتهاء الصراع لا يختفي فقط الاحتلال (وعلاقات القهر والاستغلال) بل يختفي أيضا الانسان المحتل (المقهود المستذل).

(F. Fanon 1963: 24 Quoted in Carnoy 1976: 265).

أما الثورات الفوقية التي تندلع من أعلي، في غياب الجماهير، فانها كقاعدة لا تحدث تغيرا في بنية الثقافة، ولا تخلق ثقافة جديدة والشكل رقم (٤) يوضح دينامية هذه العلاقة ومن أمثلة هذه الثورات الفوقية ثورات الصفوة العسكرية في العالم الثالث، وكذلك ثورات معظم دول أوروبا الشرقية - الاشتراكية، فالذي احدث التغيرات الثورية في أوروبا الشرقية هو الجيش الأحمر. صحيح كانت هناك ايدولوجية عالية التماسك لدي القيادة الشيوعية الوطنية، لكن ذلك كان في غياب جماهير الشعب. ومن ثم حرمت هذه البلاد من فرصة تحويل الايدولوجية من المستوي الأول - النظري - الي أنسقة فعل أو نماذج معرفية ثورية بين الجماهير. والنتيجة أنه رغم حدوث تغيرات بنيوية في هذه المجتمعات - سواء في بلدان الثورات العسكرية في

العالم الثالث أو الثورة الاشتراكية في بعض بلدان أوروبا الشرقية، فإن هذه البلاد مازالت تحتفظ وتحافظ علي كثير من بنية ثقافتها التقليدية - القديمة.

### ٣ - أنماط الثورة.

يتضح من المناقشة السابقة أن المكانات التي تتطوي عليها الثورة في أحداث التغييرات في الواقع الاجتماعي إنما تكمن في هذين المتغيرين الأيديولوجية الثورية والتعبئة الجماهيرية. فهما المتغيران اللذان يحددان إمكانات أو طاقة ثورة معينة في التغيير. وبالتالي يمكن اتخاذهما كمتغيرين في بناء طيبولوجي يصنف أنماط الثورة المختلفة ويمكن استخدامه كمخطط تفسيري لفهم هذه الأنماط. فقد رأينا أن الأيديولوجيا الثورية متغير أساسي في أي عمل ثوري. ولا توجد ثورة بلا أيديولوجية لكن تختلف الأيديولوجية من ثورة الي أخرى في درجة تماسكها وتوجهها الراديكالي نحو التغيير فهناك أيديولوجيات عالية الدرجة في تماسكها وراديكاليتهما الجماهيرية، فقد رأينا أن التغيير الثوري في البني الاجتماعية قد يتم من خلال الجماهير ومشاركتها الفعلية أو يتم في غيابها من خلال أجهزة الدولة وقرارات النخبة الثورية من أعلي. وقد نتصور متصلا للمتغير الأول وهو متغير الأيديولوجيا وفي نهاية أحد طرفيه أيديولوجيا عالية التماسك والتوجه الراديكالي، وفي أقصى الطرف الآخر أيديولوجيا منخفضة التماسك والتوجه الراديكالي. ونفس الشيء يمكن عمله بالنسبة للمتغير الثاني، متغير التعبئة الجماهيرية، فيمكن تصور متصل في أقصى أحد طرفيه تعبئة جماهيرية عالية وفي أقصى الطرف الثاني تعبئة جماهيرية

# الإصلاح التربوي في العالم الثالث

جدول (١) - درجة الصلة بالديمقراطية في منظر (١) -  
إندونيسيا - ١٩٤٩

<p>(٢) لط الثورات الشعبية الرغنية مطل: توتانيا</p> <p>الثورات الاجتماعية:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>( + ) - ثورات في البنية العقلية</li> <li>( + ) - ثورات في البنية الاجتماعية</li> </ul> <p>الإصلاح العمومي:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>( ++ ) - لو كسي</li> <li>( + ) - بنية معرفية</li> <li>( + ) - بنية اجتماعية</li> <li>( ++ ) - لط سلوكي</li> <li>( ++ ) - أخصية القرية</li> </ul>	<p>(١) لط الثورات الشعبية الاجتماعية مطل: المصح: ١٩٤٩ - كيا ١٩٤٨</p> <p>الثورات الاجتماعية:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>( ++ ) - ثورات في البنية العقلية</li> <li>( ++ ) - ثورات في البنية الاجتماعية</li> </ul> <p>الإصلاح العمومي:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>( ++ ) - لو كسي</li> <li>( + ) - بنية معرفية</li> <li>( + ) - بنية اجتماعية</li> <li>( ++ ) - لط سلوكي</li> <li>( ++ ) - أخصية القرية</li> </ul>
<p>(٤) لط الثورات " القرية " العسكرية " الثورات العسكرية: روتنية "</p> <p>مطل: مصر: ١٩٥٧ - بيرو ١٩٨٦</p> <p>الثورات الاجتماعية:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>( - ) - ثورات في البنية العقلية</li> <li>( - ) - ثورات في البنية الاقتصادية</li> </ul> <p>الإصلاح العمومي:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>( + ) - لو كسي</li> <li>( - ) - بنية معرفية</li> <li>( - ) - بنية اجتماعية</li> <li>( - ) - لط سلوكي</li> <li>( - ) - أخصية القرية</li> </ul>	<p>(٣) لط الثورات " القرية " الاجتماعية</p> <p>مطل: ثورات أوروبا الشرقية ١٩٤٥ - أنجيبا الحالية ( في العالم الثالث )</p> <p>الثورات الاجتماعية:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>( - ) - ثورات في البنية العقلية</li> <li>( ++ ) - ثورات في البنية الاقتصادية</li> </ul> <p>الإصلاح العمومي:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>( ++ ) - لو كسي</li> <li>( - ) - بنية معرفية</li> <li>( + ) - بنية اجتماعية</li> <li>( - ) - لط سلوكي</li> <li>( + ) - أخصية القرية</li> </ul>

جدول (١) - درجة الصلة بالديمقراطية في منظر (١) -  
إندونيسيا - ١٩٤٩

شكل رقم (٤): طيراني تصنيف لط الثورات الاجتماعية ومنهج الإصلاح العمومي  
في العالم الثالث

منخفضة. ويمكن حينئذ أن يقام تصنيف طيبولوجي من أربعة أنماط  
مثالية كما هو موضح بالشكل رقم (٥). وهي كما يلي:

١ - النمط الأول: نمط الثورات الكبرى التي ظهرت في تاريخ البشرية

والتي تضمنت تعبئة جماهيرية عالية وايدولوجية واضحة التوجه متماسكة المنطق. ومن نماذج هذه الثورة في القرن العشرين الثورة الروسية ١٩١٧ والثورة الصينية ١٩٤٩، كما يمكن أن يشمل هذا النمط بدرجة ما الثورة الكوبية وثورة الجزائر.

٢ - النمط الثاني: نمط ثورات الاستقلال الوطنية ونموذجها تترانيا. حيث نجد تعبئة عالية نسبيا مع ايدولوجية وطنية اجتماعية منخفضة التماسك المنطقي ومنخفضة في درجة التوجه الراديكالي الاجتماعي.

٣ - النمط الثالث: وهو نمط الثورات الاشتراكية ذات الايدولوجية العالية في درجة تماسكها وتوجهها لكنها ذات تعبئة جماهيرية منخفضة. فالتحول الاشتراكي قامت به أنصوفة السياسية المتمثلة في الأحزاب الشيوعية واستندت علي قوة الجيش الأحمر السوفيتي في صنع التغيير الاجتماعي "الثوري" ويتمثل ذلك في معظم ثورات أوروبا الشرقية بعد ١٩٤٥.

٤ - النمط الرابع: وهو نمط الثورات العسكرية الفوقية. وهو نمط ذات حضور جماهيري منخفض وايدولوجية ثورية منخفضة الدرجة من حيث تماسكها المنطقي وتوجهها الراديكالي اذا قيست بتلك الايدولوجيات الاجتماعية الأخرى في النمط الأول علي سبيل المثال. ويشمل هذا النمط وان كان بدرجات مختلفة ثورات مثل الثورة المصرية ١٩٥٢ والثورة في بيرو ١٩٦٨، ويبدو أن معظم ثورات العالم الثالث هي ثورات من هذا النمط الرابع.

## الاصلاح التربوي في العالم الثالث

وكل نمط من أنماط الثورة هذه يختلف عن الآخر في طاقته وامكاناته فكلما كانت درجة الايديولوجية والتعبئة الجماهيرية عالية كلما كان النمط ينطوي علي طاقة امكانية ثورية عالية والعكس صحيح. والأنماط التي تنطوي علي امكانات ثورية عالية نتوقع أن توفر شروطا ملائمة لتحقيق نمط من الاصلاح التربوي أكثر راديكالية من غيره كما يتضح ذلك في الشكل رقم (٥).

وفي ضوء المناقشة السابقة نتوقع أن النمطين الأول والثاني من أنماط الثورة يسفران دائما عن جهود في الاصلاح التربوي عالية في درجة نجاحها وراديكاليتهما، بالمعني الذي بيناه سابقا في الجزء الأول من الدراسة. وتتم هذه الجهود في اطار تغيرات واسعة في بنية المجتمع الثقافية والاجتماعية. ونتوقع كذلك إن النمط الثالث من أنماط الثورة يسفر عن تغيرات عالية في البنية الاجتماعية للمجتمع، مع تغيرات منخفضة في البنية الثقافية للمجتمع. ومن ثم فان جهود الاصلاح التربوي التي تتم في هذا الاطار نتوقع لها أن تكون مختلفة في درجة نجاحها وراديكاليتهما من جانب آخر في جوانب النظام التربوي. فالجوانب البنوية في النظام التعليمي ستكون أكثر تغيرا فهي التي سيتركز حولها الاصلاح بدرجة عالية بينما تتخفف درجات الاصلاح في الجوانب السلوكية والثقافية في النظام التعليمي. أما النمط الرابع من أنماط الثورة فنتوقع منه تغيرات منخفضة اجتماعية واقتصادية وتربوية أيضا.

وعلي أي الاحوال نحن في حاجة الي تطبيق الاطار النظري السابق في دراسة عدة حالات دراسة عميقة تمثل تجارب ثورية مختلفة لكل نمط من الأنماط الأربعة السابقة: أولا: حتي نقف علي

صحة هذه التوقعات وما يوجد خلفها من سمات وافتراضات نظرية تمت مناقشتها في الجزئين الأول والثاني من هذه الدراسة. وثانياً: لتوضح تأثير المتغيرات الأساسية المشكلة لنمط الثورة - الايديولوجية والمشاركة الجماهيرية - في تشكيل جهود الاصلاح التربوي وربطه بجهود التغيير الثوري في المجتمع الكبير. ثالثاً: لتقديم نماذج توضيحية لدينامية هذا الاطار النظري في تفسيره:

وستقوم الدراسة الحالية بدراسة كويا كحالة تمثل احدي التجارب الثورية الداخلة في النمط الأول من أنماط الثورة (الشكل رقم ٥)، لدراسة ما تم فيها من جهود ثورية واختبار اطارنا النظري وتوضيح قدرته في تفسير تحت أي الشروط نجحت جهود الاصلاح في كويا؟ وبالطبع نحن في حاجة الي مزيد من الدراسة المماثلة في مصر وبيرو وبنزانيا حتي يستقر الاطار النظري كقوة مفسرة.